سلسلة شروح فضيلة الشيخ (١٥)

أدبُ المُتَعَلّم

تجَاهَ المُعَلّم

في تاريخنا العلمي

د/ عبد الحكيم الأنيس



أدب المتعلم تجاه المعلم في تاريخنا العلمي

د. عبد الحكيم الأنيس كبير باحثين
بإدارة البحوث

هذه الرسالة تكشف جانباً مهماً من جوانب التاريخ العلمي المشرق لهذه الأمة، وذلك فيما يتعلق بأدب المتعلم تجاه أستاذه وشيخه ومعلمه. وقد هدف الباحث إلى إظهار مفردات التطبيق العملي لهذا الأدب المنشود، وكان قد استنبط من هذا الواقع عناوين أورد تحتها أخباراً وقصصاً ووقائع رائعة، مما التقطه وجمعه ووقف عنده من مصادر التاريخ الإسلامي وكتب التراجم وغيرها من الكتب على مدى غير قصير. والمأمول أن تثير هذه الرسالة الاهتمام بهذا الجانب من العملية التعليمية، الذي يعتريه اليوم كثير من الفتور والقصور.

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

وبعد: فيسر (دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث ، أن تقدم إصدارها الجديد أدب المتعلم تجاه المعلم في تاريخنا العلمي » الجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وهذه الرسالة تكشف جانباً مهماً من جوانب التاريخ العلمي المشرق لهذه الأمة، وذلك فيما يتعلق بأدب المتعلم تجاه أستاذه وشيخه ومعلمه.

وقد هدف الباحث إلى إظهار مفردات التطبيق العملي لهذا الأدب المنشود، وكان قد استنبط من هذا الواقع عناوين أورد تحتها أخباراً وقصصاً ووقائع رائعة، مما التقطه وجمعه ووقف عنده من مصادر التاريخ الإسلامي وكتب التراجم وغيرها من الكتب على مدى غير قصير.

والمأمول أن تثير هذه الرسالة الاهتمام بهذا الجانب من العملية التعليمية، الذي يعتريه اليوم كثير من الفتور والقصور.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر

والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الأمي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه قبسات ولمعات عن موضوع مهم، يفتقر إليه كل إنسان في علاقته بأساتذته وشيوخه، ومعلميه ومربيه، ذلك هو الأدب الذي يجب أن يتحلى به المتعلم تجاه معلمه.

وقد زخر تاريخ الحضارة الإسلامية بأخبار وصور وقصص رائعة، تجسد الرقي الأخلاقي الذي تمثلت به الأمة في تقدير العلم، ورفعة قدر العلماء .

وهذه الصفحات تحاول أن تذكر بهذا الأدب الجميل وتدعو إلى التحلي به، وتبين كيف كان أدب الأسلاف أمام شيوخهم وأساتذتهم .

ومن الواضح أن هذه العلاقة السامية بين الطالب وأستاذه، إنما قامت على أساس من كتاب الله تعالى وسنة رسوله .

وسرى هذا النور في الصحابة الكرام، وفي التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا - ولله الحمد والمنة .

وهذا الأدب الذي علمناه القرآن والسنة يبين

أوضح بيان ويجلي أشد جلاء منزلة العلم في الإسلام، وسمو قدره، وجليل قدر أهله، بحيث كان على الراغب فيه، الساعي إلى نيله، أن يبذل غاية وسعه في التحلي به، والتخلق بما يمليه، والحفاظ عليه تجاه الأساتذة، في أثناء الطلب وبعده، في حياتهم وبعد مماتهم .

وقد نجد في بعض الحالات اليوم إخلالاً بهذا الالتزام وفتوراً في العلاقة بين الطالب وأستاذه، بل قد يصل الأمر إلى ما هو أشد من الفتور ....

لذا كان من المتعين أن يذكر المرء نفسه، ويذكر غيره بالموقف الصحيح، والعلاقة المطلوبة، في هذا المجال .

إن الأمة مدعوة إلى إعزاز العلم، وإجلال العلماء، ومن ذلك إشاعة حسن التعامل معهما، وتصحيح النظر إليهما، وإحلالهما بالمكان اللائق بهما .

وقد قال الإمام ابن حزم (ت: ٤٥٦ هـ) : " اتفقوا على إيجاب توقير أهل القرآن والإسلام والنبي ، وكذلك الخليفة والفاضل والعالم » **(1).**

وأرجو أن تسهم هذه الكلمات بجزء من هذا الواجب الكبير الذي هو أحد المرتكزات الأساسية لنهضة الأمة .

وغني عن البيان أن الطالب لا بد له من أستاذ يأخذ بيده في مدارج التعلم ومراقيه (٢) ، وإذا كان لا يستغني عنه فمن

(١) نقله ابن مفلح في الآداب الشرعية (٤٤٠/١) عن كتاب الإجماع.

وليس في المطبوع سوى قوله : « وكذلك الخليفة والفاضل والعالم، وسقط أول الكلام فاضطرب السياق، وأصبح الكلام هكذا: واتفقوا أن حلق جميع اللحية مثلة لا تجوز، وكذلك الخليفة والفاضل والعالم » !! انظر: مراتب الإجماع ص ٢٥٢ .

(٢) للطبيب المصري أبي الحسن علي بن رضوان (ت: في حدود ٤٦٠ هـ) مصنف في أن التعلم من الكتب أوفق من المعلمين، وقدرة عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد، نقل بعضه الصفدي في الوافي (١٠٧/٢١-١٠٩)، وأيده بما يتعين الوقوف عليه .

ولأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) أبيات جميلة في هذا، فانظر: الآداب الشرعية (١٢٥/٢) ، ونفح الطيب (٣١٠/٣ و ٣١٣). =

الضروري أن يعرف كيف يؤسس العلاقة معه، ويسلك الطريق الذي يوصله إلى مطلوبه، وأن يعلم أن تقدير العلم وحامله هو من تقدير مصدر هذا العلم .

وما أجمل القاعدة التي وضعها الإمام سفيان بن عيينة إذ قال: ينبغي للعالم إذا علم أن لا يُعنف، وإذا تعلم أن لا يأنف).

وسمعت من الشيخ سعيد باشوش - من المغرب - في المسجد النبوي الشريف، في شعبان سنة ١٤٢٣ هـ كلمة طيبة يرويها عن بعض شيوخه، وهي : « من تفقه في الأوراق غير في الأحكام،

ومن تطيب في الأوراق قتل الأنام، ومن تنحى في الأوراق لحن في الكلام .. ورأيت الجملة الأولى للشافعي بنص : (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام في الدر النضيد للغزي ص ١٣٨ .

(١) روى هذا القول عنه الإمام أبو علي الحسن بن الحسين بن حمكان الهمذاني الشافعي (ت: ٤٠٥ هـ) في كتابه الفوائد والأخبار والحكايات .... ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وقد ورد هذا القول في بعض الكتب منسوباً إلى الإمام محمد بن عبد الباقي الأنصاري البغدادي الحنبلي (ت: ٥٣٥ هـ) بلفظ : يجب على المعلم أن لا يعنف، وعلى المتعلم أن لا يأنف ، كما في المنتظم (١٤/١٨)، وذيل طبقات الحنابلة (١٩٤/١)، والآداب الشرعية (٢٢٤/١)، وهو لسفيان كما رأيت ..

ثم إن هذه المعاملة قرض، وكما تدين تدان، وقد قال الإمام أبو الخطاب الكلوذاني:

أنا شيخ وللمشايخ بالا   داب علم يخفى على الشبان

فإذا ما ذكرتني فتأدب   فَهُوَ قرض يُرَدُّ بالميزان (١)

وللإمام البيضاوي لفتة جميلة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ فَسَيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (٢)، قال:

لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموه، ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود، وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على

(١) من ترجمة تلميذه الفقيه أبي الفتح أحمد بن عبد الله البغدادي (ت:

٥٧٦ هـ) في الذيل لابن رجب (٣٤٨/١) .

(٢) سورة المائدة: ٨٢ .

العلم والعمل، والإعراض عن الشهوات محمودة (1) وإن كانت من كافر) (٢) .

والله المستعان لا رب غيره .

وصلى الله على سيدنا محمد معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه ...

عبد الحكيم الأنيس

تعريف الأدب لغة واصطلاحاً

قال الزبيدي شارحاً قول الفيروزآبادي:

(الأدب، محركة : (الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي به لأنه يأدب الناس إلى المحامد **(١)** وينهاهم عن المقابح .

وأصل الأدب: الدعاء .

وقال شيخنا **(٢)** ناقلاً عن تقريرات شيوخه: الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه ..

وفي المصباح **(٣)**: هو تعلم رياضة **(4)** النفس ومحاسن الأخلاق .

(١) قال التفتازاني في كتابه النعم السوابغ على الحكم التوابع ص ١٣: الأدب ما يأدب إلى المحامد ، ونقله المناوي في فيض القدير **(١/٢٢٤)** بلفظ : « هو ما يؤدي بالناس إلى المحامد . .

(٢) العلامة محمد بن الطيب الفاسي .

(٣) المصباح المنير للفيومي ص ٩، والنقل بتصرف .

(٤) جاء في القاموس ص ٨٣١: راض المهر رياضاً ورياضة: ذلله »، فالمقصود تعلم تطويع النفس وتليينها لتتقبل الحسن وتنتهي عن القبيح .

وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، ومثله في التهذيب (1).

وفي التوشيح: هو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، أو الأخذ بمكارم الأخلاق] (٢)، أو الوقوف مع المستحسنات، أو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك ..

ونقل الخفاجي في العناية » عن الجواليقي في شرح أدب الكاتب : الأدب في اللغة: حسن الأخلاق وفعل المكارم وإطلاقه على علوم العربية مولد حدث في الإسلام (٣).

(١) في تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٩/١٤): (الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح . يأدبهم أي يدعوهم، وأصل الأدب: الدعاء .....

(٢) سقط من الأصل، استدركته من فتح الباري (٤٠٠/١٠) وفيض القدير (١/ ٢٢٥) .

(٣) في هذا نظر لا يتسع المقام لبسطه .

وقال ابن السيد البطليوسي: الأدب أدب النفس والدرس.

والأدب : (الظرف) بالفتح، (وحسن التناول)،

وهذا القول شامل الغالب الأقوال المذكورة، ولذا اقتصر عليه المصنف **(١).**

وقال الجرجاني **(** الأدب**:** عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ » **(٢).**

و من قبل قال الإمام عبد الله بن المبارك **: (** قد قال الناس في الأدب فأكثروا، ونحن نقول**:** هو في معرفة النفس **) (٣).**

(١) تاج العروس من جواهر القاموس **(**١٢/٢**)** .

(٢) التعريفات ص ٢٩ .

(٣) تهذيب الأسرار ص ٢١٤ .

أهمية الأدب

الكلام على أهمية الأدب طويل أجتزئ منه بهذه اللمعات:

قال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم **(1)**

وقال: إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت رجلاً له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته (٢) ..

وقال: لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب. رواه الحاكم في (تاريخه) (٣) .

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ٢٨٥ . وفي الآداب الشرعية لابن مفلح (٥٥٣/٣): قال ابن المبارك: قال لي مخلد بن الحسين ، وذكر القول . وفيه الحديث) بدل (العلم ، و مخلدة بدل « مخلد». ومخلد هو الإمام الكبير الذي قال فيه أبو داود: « كان أعقل أهل زمانه » . توفي سنة (١٩١ هـ) أو بعدها . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء) (٢٣٦/٩).

(٢) الآداب الشرعية (٥٥٢/٣) .

(٣) الآداب الشرعية (٥٥٢/٣) .

وقال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال: غريزة عقل . قلت: فإن لم يكن ؟ قال: حسن أدب . قلت: فإن لم يكن ؟ قال : أخ شفيق يستشيره . قلت: فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل . قلت: فإن لم يكن ؟ قال: موت عاجل (1) .

وروى الخطيب في ترجمة الإمام المقرئ أبي بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤ هـ) عن محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني قال: تقدمت إلى أبي بكر بن مجاهد لأقرأ عليه، فتقدم إليه رجل وافر اللحية، كبير الهامة، فابتدأ ليقرأ، فقال : ترفق يا خليلي، سمعت محمد بن الجهم السمري يقول : سمعت الفراء يقول: أدب النفس، ثم أدب الدرس (٢).

وقد مدح العلامة النحوي اللغوي الشريف أبو السعادات ابن الشجري (ت: ٥٤٢ هـ) بأنه لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب نفس، أو آداب درس) (٣) .

(1) سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٨) .

(٢) تاريخ مدينة السلام (٣٥٤/٦) ، ط دار الغرب الإسلامي .

(٣) نزهة الألباء للأنباري ص ٣٠٠ .

وجاء عن الفيلسوف ذيو جانس أنه رأى غلاماً جميلاً لا أدب له، فقال: « أي بيت لولا أنه لا أساس له » (١) ، فماذا تنفع حسن صورة دون نفس مستنيرة ؟

(١) آداب الفلاسفة الحنين بن إسحاق، اختصار محمد بن علي الأنصاري ص ١١٢ .

أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

هذا الأدب منهج قرآني، وقد قص الله تعالى علينا قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف، وفيها قوله تعالى - فيما حكاه عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام - : هل أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) .

قال الإمام الرازي: (اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر:

فأحدها: أنه جعل نفسه تبعاً له، لأنه قال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ) .

وثانيها : أنه استأذن في إثبات هذه التبعية، فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك، وهذه مبالغة عظيمة في التواضع .

وثالثها: أنه قال: ﴿ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ) ، وهذا إقرار له على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم .

ورابعها أنه قال: ﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ ، وصيغة (من)

للتبعيض، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل

أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله .

وخامسها : أنه قال: ﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ) اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم .

وسادسها: أن قوله: ﴿ رُشْدًا (طلب منه للإرشاد والهداية، والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال.

وسابعها: أن قوله: ﴿ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ) معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به، وفيه إشعارٍ بأنه يكون إنعامك علي عند هذا التعليم شبيهاً بإنعام الله عليك في هذا التعليم، ولهذا المعنى قيل: أنا عبد من تعلمت منه حرفاً **(1)** .

(١) نسبت هذه الكلمة إلى الإمام علي في تعليم المتعلم ص ٤٧، وروى الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه في باب تعظيم المتفقه الفقيه وهيبته إياه وتواضعه له **(٢)** ١٩٧ عن محمد بن علي الأدفوي =

وثامنها: أن المتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل كونه فعلاً لذلك الغير، فإنا إذا قلنا لا إله إلا الله، فاليهود الذين كانوا قبلنا كانوا يذكرون هذه الكلمة، فلا يجب كوننا متبعين لهم في ذكر هذه الكلمة، لأنا لا نقول هذه الكلمة لأجل أنهم قالوها، وإنما نقولها لقيام الدليل على أنه

يجب ذكرها، أما إذا أتينا بهذه الصلوات الخمس على موافقة فعل الرسول ﷺ فإنما أتينا بها لأجل أنه عليه السلام أتى بها، لا جرم كنا متبعين في فعل هذه الصلوات الرسول الله ﷺ.

إذا ثبت هذا فنقول: قوله: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ) يدل على أنه يأتي بمثل أفعال ذلك الأستاذ، المجرد كون ذلك الأستاذ آتياً بها . وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه في أول الأمر التسليم وترك المنازعة والاعتراض .

النحوي قوله: (إذا تعلم الإنسان من العالم واستفاد منه الفوائد فهو له عبد . قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ [الكهف: ٦٠] وهو يوشع بن نون، ولم يكن مملوكاً له، وإنما كان متلمذاً له متبعاً له، فجعله الله فتاه لذلك . .

وتاسعها : أن قوله أَتَّبِعُكَ) يدل على طلب متابعته مطلقاً في جميع الأمور غير مقيد بشيء دون شيء .

وعاشرها: أنه ثبت بالأخبار أن الخضر عرف أولاً أنه نبي بني إسرائيل وأنه موسى صاحب التوراة، وهو الرجل الذي كلمه الله عز وجل من غير واسطة، وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة، ثم إنه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع، وذلك يدل على كونه عليه السلام آتياً في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة،

وهذا هو اللائق به، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأشد .

والحادي عشر : أنه قال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ فَأثبت كونه تبعاً له أولاً، ثم طلب ثانياً أن يعلمه، وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم .

والثاني عشر : أنه قال : هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئاً، كأنه قال: لا أطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه، ولا غرض لي إلا طلب العلم) **(1)** .

(١) تفسير الرازي (١٥٢/٢١)، هذا وقد قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مقدمات تفسيره التحرير والتنوير ، وهو يتحدث عن طرائق المفسرين (٤٢/١): ففي الطريقة الثانية قد فرع العلماء وفصلوا في الأحكام ... فلا يلام المفسر إذا أتى بشيء من تفاريع العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية، وله مزيد تعلق بالأمور الإسلامية، كما نفرض أن يفسر قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] بما ذكره المتكلمون .... وكذا أن يفسر ما حكاه الله تعالى في قصة موسى مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم كما فعل الغزالي، وقد قال ابن العربي: إنه أملى عليها ثمان مئة مسألة) !

لقد تأدب الصحابة الكرام بأدب القرآن:

فعن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً في المسجد إذ خرج رسول الله ، فجلس إلينا، فكأن على رؤوسنا الطير، لا يتكلم أحد منا **(1)** .

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) .

قال أبو بكر بن الأنباري (قولهم: (جلساء فلان كأنها على رؤوسهم الطير) في هذا قولان:

أحدهما: أن يكون المعنى أنهم يسكنون فلا يتحركون ويغضون أبصارهم، والطير لا يقع إلا على ساكن، يقال للرجل

(1) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب فضل النفقة في سبيل الله، (ضمن الفتح : ٦ / ٣٨٩)، وأخرج نحوه ابن ماجه عن البراء بن عازب . انظر السنن، كتاب الجنائز باب ما جاء في الجلوس في المقابر (٤٩٤/١) . وانظر الجامع للخطيب (٢٨٩/١) .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

إذا كان حليماً وقوراً: إنه لساكن الطائر، أي كأن على رأسه طائراً لسكونه، قال الشاعر:

إذا حلت بنو أسد عكاظاً   رأيت على رؤوسهم الغرابا

فمعنى البيت أنهم يذلون ويسكنون كأن على رؤوسهم غراباً من سكونهم، وإنما خص الغراب لأنه أحذر الطير وأبصرها .....

والقول الثاني: أن الأصل في قولهم: كأنها على رؤوسهم الطير، أن سليمان بن داود عليهما السلام كان يقول للريح: أقلينا، وللطير: أظلينا، فتقله وأصحابه الريح وتظلهم الطير، وكان أصحابه يغضون أبصارهم هيبة له وإعظاماً، ويسكنون فلا يتحركون ولا يتكلمون بشيء إلا أن يسألهم عنه فيجيبون.

فقيل للقوم إذا سكنوا هم حلماء وقراء كأنها على رؤوسهم الطير، تشبيهاً بأصحاب سليمان، ومن ذلك الحديث الذي يروى كان رسول الله ﷺ إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير» (1)

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١) ٢٩٠-٢٩١)، ونقل الخطيب = البغدادي في (الجامع ، هذا النص باختصار دون أن يصرح -

وفي حديث عمر عن مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها: مشهد جميل يصور ما ينبغي أن يكون عليه أدب السائل أمام المسؤول: يقول عمر رضي الله عنه : .... حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخديه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام ......

وفي آخره: « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (١) ، ومن تعلم الدين تعلم أدب تلقي الدين .

= باسم مصدره . انظر الجامع (١) ٢٩٠-٢٩١)، وفي المطبوع تصحيف حلماء» إلى «علماء »

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي وابن حبان . وقد أطال ابن رجب في شرح هذا الحديث، انظر جامع العلوم والحكم . (٩٣/١-٩٤)

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية) (٢٩٨/٨) في ترجمة الإمام ابن عباس : (قال البيهقي - وساق ابن كثير سنده إلى عكرمة - قال: قال ابن عباس: لما قبض رسول الله ، قلت الرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير، فقال: يا عجباً لك يا ابن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم ؟

قال: فترك ذاك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فأتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك ...

قال: فأسأله عن الحديث .

قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني .

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة، حدثنا أبو سلمة، عن ابن عباس قال: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند

هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه) .

ورواه أبو خيثمة النسائي في (كتاب العلم) ص ١٤١ (١) .

وقال ابن عبد البر في التمهيد : (وروينا من وجوه عن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة، ثم قربت له بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس : هكذا يفعل بالعلماء والكبراء (٢))

(١) صفحات من صبر العلماء ، ص ٣٧-٣٨، وانظر لزاماً إتحاف السادة المتقين) (١٥٣/١)، والتراتيب الإدارية ، (٣٢٤/٢ و ٣٣٢) .

(٢) علق شيخنا الأستاذ محمد عوامة هنا بقوله: روى هذا المقدار من القصة يعقوب بن سفيان في تاريخه) (١٧٦/٣) بإسناد صحيح كما في الإصابة) ترجمة زيد بن ثابت .

وزاد بعضهم في هذا الحديث أن زيد بن ثابت كافاً ابن عباس على أخذه بركابه أن قبل يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .
وهذه الزيادة من أهل العلم من ينكرها . والجنازة كانت جنازة أم زيد بن ثابت صلى عليها زيد وكبر أربعاً، وأخذ ابن عباس بركابه يومئذ) (١) .

أخرجه الطبراني والحاكم والبيهقي في المدخل، وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم (٢) .

ومن هنا نفهم قول ابن عباس رضي الله عنهما : « ذللت طالباً فعززت مطلوباً » (٣) .

وأذكر هنا مشهداً عن العز الذي وصل إليه:

أخرج أبو نعيم في « الحلية » من رواية يونس بن بكير، حدثنا أبو حمزة الشمالي، عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس

(١) صفحات في أدب الرأي صـ ٦٣ .

(٢) انظر مزيداً من التخريج في « إتحاف السادة المتقين » (٥٠٥/١) .

(٣) الحث على طلب العلم للعسكري ص ٦٥ ، وجامع بيان العلم وفضله (٤٧٤/١)، والإحياء، انظر الإتحاف (١٥٢/١)، والمجموع للنووي (٦٩/١)، وكشف الخفاء (١ / ٥٠٥) .

مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على با به فقال: ضع لي وضوءاً . قال : فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم : من كان يريد أن

يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل، فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ...

ثم أدخل السائلين عن الحلال والحرام، ثم عن الفرائض ثم عن العربية والشعر والغريب .

يقول أبو صالح : (فلو أن قريشاً كلها فَخَرَتْ بذلك لكان فخراً لها، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس .. » (1) .

وقد بات رضي الله عنه القدوة في هذا المسلك لمن بعده

(١) حلية الأولياء (١) ٣٢٠-٣٢١)، إتحاف السادة المتقين (١٥٤/١) .

ومن هؤلاء:

- الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام التركي البغدادي (ت: ٢٢٢ هـ) . جاء عنه أنه قال: (أدركت من العلم ما أدركت، وما استأذنت على أحد من الشيوخ قط، إنما كنت أصبر أن يخرج، وأن أتأول فيه قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات : ٥] (١) .

ومنهم العلامة الألوسي المفسر فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا ﴾ أنه قرأ وهو صغير أن ابن عباس كان يذهب إلى أبي بن كعب رضي الله عنه في بيته لأخذ القرآن العظيم عنه فيقف عند الباب ولا يدقه عليه حتى يخرج، فاستعظم أبي ذلك منه فقال له يوماً : هلا دققت الباب يا ابن عباس ؟ فقال: العالم في قومه كالنبي في أمته، وقد قال الله تعالى في حق نبيه ﷺ: وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾.

(١) سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدار قطني ص ١٢٠، وانظر: طبقات المفسرين للداوودي (٤١/٢) .

قال الألوسي : (وقد قرأت هذه القصة صغيراً، فعملت بموجبها مع مشايخي والحمد الله تعالى) . (1)

لقد ذكرت ابن عباس ومن بعده نموذجاً وإلا فتوقير العلماء كان هدياً عاماً متبعاً:

قال البلخي في عين العلم : (ويأخذ [أي الطالب] بركاب العلماء للتوفير) .

وقال شارحه العلامة علي القاري (ت: ١٠١٤ هـ) بعد ذكر قصة ابن عباس السابقة : (وأخذ عمر بغرز زيد - أي بركابه - حتى رفعه، وقال: هكذا

فافعلوا بزيد وأصحابه) (٢).

أورد هذا الشيخ عبد الحي الكتاني وقال بعده: « وقد أخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس، وأحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت رفعاه ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ولم يرحم صغيرنا، ولم يعرف لعالمنا حقه) (٣) .

(١) روح المعاني (١٤٤/٢٦) .

(٢) شرح عين العلم وزين الحلم (١/ ٣٧٥) .

(٣) التراتيب الإدارية (٢) ٣٣٣) .

جملة من الآداب المطلوبة تجاه المعلم

1- من الأدب حسن الجلوس بين يديه

يروى عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قال:

من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيدك، ولا تغمزن بعينيك، ولا تقولن قال فلان خلافاً لقوله - ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تسار في مجلسه، ولا تأخذ ثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض من طول صحبته، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء، وإن المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم، الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة) **(1)** . **(١)**

(١) الجامع للخطيب (١/ ٣٠٠-٣٠١)، والفقيه والمتفقه (١٩٨/٢)

والمجموع للنووي **(٦٧/١)** إلى قوله**:** « شيء » ، وانظر النص غير منسوب إلى علي في الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص٨٤، ومناقب أحمد لابن الجوزي ص ٥٨ **.**

ولنتأمل في هذه الأخبار:

قال المسيب بن واضح: رأيت أبا إسحاق الفزاري بين يدي عبد الله بن المبارك قاعداً يسأله (١) .

وروى الخطيب البغدادي في ترجمة الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بـ (دحيم الدمشقي (ت: ٢٤٥ هـ) بسنده عن الحسن بن علي بن بحر يقول : " قدم دحيم بغداد سنة اثنتي عشرة [٢١٢ هـ] فرأيت أبي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قعوداً بين يديه كالصبيان) (٢) .

وذكر الذهبي هذا الخبر دون سند، لكنه زاد مع المذكورين: خلف بن سالم » (٣) .

وقال إدريس بن عبد الكريم الحداد: قال لي سلمة بن عاصم

(1) سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٨).

(٢) تاريخ بغداد (٢٦٦/١٠) .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ (٢) ٤٨٠)، وللمزيد انظر (مناقب أحمد) لابن الجوزي ص ٥٦ .

العالم النحوي) : أريد أن أسمع كتاب العدد من خلف بن هشام البزار المقرئ (ت: ٢٢٩ هـ)] ، فقلت لخلف، فقال: فليجيء، فلما دخل رفعه لأن يجلس في الصدر، فأبى وقال: لا أجلس إلا بين

يديك، وقال: هذا حق التعليم . فقال له خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه، فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه) (1) .

ومن حرم هذا الأدب حُرم من العلم:

قال حمدان بن الأصبهاني: كنت عند شريك [بن عبد الله (ت: ١٣٣ هـ)] فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه . فقال : كأنك تستخف بأولاد الخلافة ؟ قال: لا،

(١) تاريخ بغداد في ترجمة سلمة (١٣٤/٩)، والجامع للخطيب (٢٩٩/١)، وانظر حاشيته لزاماً، وقد أورد القصة الأنباري في نزهة الألباء في ترجمة سلمة ص ١١٧ إلى قوله : « نتعلم منه فقط »، وقد ظن المحقق أن خلف هو ابن حيان المعروف بخلف الأحمر، وهذا وهم !

ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه . قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم) (1) .

وروى الخطيب عن أبي العباس المروزي قال:

كنا يوماً عند أبي خيثمة زهير بن حرب، فجاءه فتى أحول مجدور، فجلس ومد رجليه بحضرة أبي خيثمة، وجعل يتأوه، فقال له أبو خيثمة: يا بني أنت ثقيل، فما شأنك ؟ قال: فغضب وقام

فركب ومضى إلى أبيه، وبلغني أنه شكاه، فقال له أبوه يا بني ! أنت ثقيل كما قال، وقد علمت ذلك ولكن أحببت أن يكون بغضك بإسناد) (٢) .

وقال المناوي : (وذكر البرهان البقاعي أنه سأله بعض العجم أن يقرأ عليه، فأذن، فجلس متربعاً، فامتنع من إقرائه، وقال: أنت أحوج إلى الأدب منك إلى العلم الذي جئت تطلبه .

(١) الجامع (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، وانظر القصة في الحث على طلب العلم ص ٨٤-٨٥ .

(٢) الجامع (١) ٣٠٠) .

وحكى عن الشمس الجوجري (1) أنه لما شرع في الاشتغال بالعلم طاف على أكابر علماء بلده، فلم يعجبه منهم أحد، لحدة فهمه، حتى إذا جاء إلى شيخ الإسلام يحيى المناوي، فجلس بين يديه - وفي ظنه أنه يلحقه بمن تقدم - فشرع في القراءة، فتأمل الشيخ، فوجد إصبعاً من أصابع رجله مكشوفة، فانتهره وقال له بحال: أنت قليل الأدب، لا يجيء منك في الطلب، غط إصبعك واستعمل الأدب، فحم لوقته، وزال عنه ما كان يجده من الاستخفاف بالناس، ولزم دروسه حتى صار رأساً عظيماً في العلم ، (٢) .

وقال الإمام برهان الدين الزرنوجي : (وينبغي

لطالب العلم ألا يجلس قريباً من الأستاذ عند السبق بغير ضرورة، بل

(١) في الأصل فيض القدير : الجوهري، وهو تصحيف، وقد ذكر السخاوي في ترجمة الشمس الجوجري محمد بن عبد المنعم (ت: ٨٨٩ هـ) أنه أخذ عن المناوي واشتدت عنايته بملازمته . انظر الضوء اللامع (١٢٣/٨) .

(٢) فيض القدير (١/ ٢٢٥)، وصفحات من أدب الرأي ص ١٢١-١٢٢

ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوس فإنه أقرب إلى التعظيم) (1) .

ومن الصور المشرقة في هذا الجانب ما جاء عن عمرو بن قيس الملائي (٢) أنه كان إذا بلغه الحديث عن الرجل، فأراد أن يسمعه، أتاه حتى يجلس بين يديه ويخفض جناحه ويقول: علمني رحمك الله مما علمك الله (٣) .

ومثل هذا ما ذكره (أحمد بن إسحاق الحلبي قال: سمعت عمر بن سيار المنبجي يقول: سمعت مالك بن أنس رحمه الله يقول: وجه إلي هارون الرشيد يسألني أن أحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن العلم يؤتى ولا يأتي . قال: فصار إلى منزلي، فاستند معي إلى الجدار فقلت: يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم . قال: فجلس بين يدي، قال:

فقال لي بعد

(١) تعليم المتعلم ص ٥٥، ومثله في آداب المتعلمين لنصير الدين الطوسي المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية م ٣ جـ ١ - ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) مات سنة بضع وأربعين ومئة . انظر تقريب التهذيب ص ٤٩٥ . (٣) الجامع (٣١٩/١) .

مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به .

وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيحدثهم، ويأخذ دراهمهم » (1) .

وقال الذهبي في ترجمة الخطيب البغدادي:

قال السمعاني: سمعت يوسف بن أيوب بمرو يقول:

حضر الخطيب درس شيخنا أبي إسحاق [الشيرازي] فروى أبو إسحاق حديثاً من رواية بحر بن كنيز السقاء، ثم قال للخطيب: ما تقول فيه ؟ فقال: إن أذنت لي ذكرت حاله فانحرف أبو إسحاق، وقعد كالتلميذ، وشرع الخطيب يقول . وشرح أحواله شرحاً حسناً، فأثنى الشيخ عليه، وقال: هذا دار قطني عصره) (٢) .

(1) الحث على طلب العلم ص ٨٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨) ٢٨٠-٢٨١)، وانظر المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ص ٥٧-٥٨ .

وقال ياقوت الحموي في ترجمة النسابة عزيز الدين إسماعيل ابن الحسين المروزي العلوي (٥٧٢) - بعد ٦١٤ هـ):

حدثني - رحمه الله - قال : لما ورد الفخر الرازي إلى مرو وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، دخلت عليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يوماً: أحب أن تصنف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبيين لأنظر فيه فلا أحب أن أموت (١) جاهلاً به . فقلت له: أتريده مشجراً أم منثوراً ؟ فقال: المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه. فقلت له: السمع والطاعة ، فمضيت وصنفت له الكتاب الذي سميته الفخري، وحملته وجئته به، فلما وقف عليه نزل عن طراحته وجلس على الحصير وقال: اجلس على هذه الطراحة . فأعظمت ذلك وهبته (٢)، فانتهرني نهرة عظيمة مزعجة وزعق في وقال: اجلس بحيث أقول لك ! فتداخلني - علم الله - من هيبته

(1) في الطبعة الأولى: أكون .

(٢) في الطبعة الأولى، والوافي وخدمته .

ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني . ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه إلى أن أنهاه قراءة . فلما فرغ من قراءته قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأنا أستفيد منك وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ . فقمت من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه وأنا جالس، بحيث كان أولاً. وهذا لعمري من حسن الأدب حسن، ولاسيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة) **(1) ...**

وإذا قدرنا أن هذا حصل في عام وفاة الرازي وهي **(**٦٠٦**)** هـ**)** فيكون عمر الرازي **(**٦٣**)** عاماً، وعمر الشيخ النسابة الذي قرأ عليه **(**٣٤**)** عاماً، فتأمل كم كان العلم غالياً عليه حتى قرأ على تلميذه وهو في سن أولاده **!**

وعلى المرء أن لا يأنف من التعلم مهما كان موقعه من العلم

(١**)** معجم الأدباء **(**٢ / ٦٥٤-٦٥٥**)** ط إحسان عباس، ونقله الصفدي في الوافي بالوفيات **(**١٠٩/٩-١١٠**)** إلى قوله : **(** بين يدي الأستاذ **)** باختصار بعض الفاظه .

والسن، جاء في ترجمة النسابة دغفل بن حنظلة السدوسي الذهلي الشيباني (ت: ٦٥ هـ) (١) أنه قيل له: بم أدركت ما أدركت ؟ قال: بلسانٍ سؤول، وقلب عقول، وكنت إذا لقيت عالماً أخذت منه وأعطيته (٢) .

وتعود إلى الرازي لنقف على خبر آخر معجب

قال أبو العباس أحمد بن يوسف اللبلي الفهري (ت:

٦٩١هـ):

أخبرني بالقاهرة الفقيه ابن الطباخ أن الإمام ابن الخطيب فخر الدين الرازي] كان يقرأ علم النحو على نحوي يعرف بابن السكاك، فكان ابن الخطيب إذا فرغ من مجلسه أتى مكانه وقعد إليه، فكان يعظم على ابن السكاك مجيئه إليه، ويقول له:

أنت إمام، وحقك أن يؤتي إليك . فيقول الإمام ابن الخطيب: هذا الذي أفعله هو الواجب .

(١) قال ابن سعد : (أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً » . الوافي

. (١٩/١٤)

(٢) الوافي بالوفيات (١٩/١٤) .

قال ابن السكاك: فكان الإمام يبحث معي في كتاب المفصل » فكان في الجزء الأول ربما يكون مثلي أو دوني يسيراً، وأما في الجزء الثاني فكان يحل لي المشكلات التي كانت تعتاص علي **(1)** .

وأخيراً فقد قال الإمام القسطلاني: **(** ينبغي للطالب أن يقعد قعدة المتعلمين، لا قعدة المعلمين، بأن يجثو على ركبتيه ، وليحذر من جعل يده اليسرى خلف ظهره معتمداً عليها، ففي الحديث أنها قعدة المغضوب عليهم، رواه أبو داود في سننه » **(٢)** .

ولا بأس من تقبيل يد الشيخ :

وقد روى البخاري في الأدب المفرد، والإمام أحمد عن ابن عمر قال: «كنت في سرية من سرايا رسول الله فأتيناه حتى قبلنا يده **(٣)** ...
وقبل ثابت عيني أ عيني أنس **(4))** .

(١) فهرست الليلي ص ١٢٨-١٢٩ .

(٢) لطائف الإشارات (٣٣٢/١) .

(٣) الجامع (٢٨٦/١) .

(٤) الجامع (١/ ٢٨٨) .

وقال ابن الجوزي في (مناقب أصحاب الحديث : ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم، ويذل نفسه له .

قال: ومن التواضع للعالم تقبيل يده، وقبل سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض أحدهما يد حسين بن علي الجعفي (١)) والآخر رجله) (٢) .

وقال أبو حامد أحمد بن حمدون القصار : (سمعت مسلم ابن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله) (٣).

(١) الجعفي إمام عابد من رجال السنة . انظر ترجمته في تهذيب الكمال

. (٦/٤٤٩-٤٥٤)

(٢) نقل هذا ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/٢٥٩) ، و (مناقب أصحاب الحديث) لم تذكر له نسخة . انظر : قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي للدكتورة ناجية عبد الله ص ١٨٦ .

(٣) تاريخ بغداد (١٣/١٠٢).

- ومن الأدب عدم تخطئته علناً أمام الملأ:

قال أبو البركات الأنباري في ترجمة الإمام أبي بكر بن الأنباري:

قال أبو الحسن الدارقطني : حضرت أبا بكر بن الأنباري في مجلس إملائه يوم الجمعة فصحف اسماً أورده في إسناد حديث إما كان حيان فقال حبان، أو حبان فقال حيان - .

قال أبو الحسن : فأعظمتُه أَن يُنقل عن مثله في الفضل والجلالة وهم، وهبته أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاء، تقدمت إلى المستملي وذكرت له وهمه، وعرفته صواب القول فيه، وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية، فقال أبو بكر - رحمه الله -

للمستملي : عرف الجماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال » **(1)** .

(١) نزهة الألباء ص ٢٠٣ .

ومن الأساليب الرفيعة في تنبيه الشيخ على الخطأ أسلوب القاضي أبي عبد الله الصيمري حين قراءته على الشيخ أبي بكر الخوارزمي، والخبر يرويه الخطيب البغدادي عن قاضي

القضاة أبي عبد الله الدامغاني قال: سمعت القاضي أبا عبد الله الصيمري يقول:

درسنا يوماً أبو بكر الخوارزمي، فحكى في تدريسه عن محمد ابن الحسن شيئاً وهم في حكايته، وكان محمد قد نص في (الجامع الصغير على خلافه، فلما انقضى تدريسه تركت الإعادة على الأصحاب ومضيت إلى أبي بكر وقد دخل منزله، ومعي كتاب الجامع لمحمد بن الحسن، واستأذنت على أبي بكر، فأذن لي في الدخول، فدخلت وسلمت عليه ثم قلت له: ها هنا باب فيه شيء قد أشكل علي، وأحتاج إلى قراءته على الشيخ، فقال: افعل فقرأت من قبل الموضع الذي قصدت لأجله، إلى أن انتهيت إليه وجاوزته . فقال أبو بكر : قد حكينا في الدرس عن محمد ابن الحسن شيئاً، والنص ها هنا عنه بخلافه، وهو كذا، فعرف

الأصحاب ذلك حتى يذكروه ويعلقوه على الصواب - أو كما

.)1( ) - قال

وقد أورد الخطيب هذه الحكاية بعد قوله : " إذا أخطأ الفقيه، وتبين لصاحبه الأخذ عنه خطؤه، فإن الصاحب يتلطف في رده عليه) (٢) ...

وهناك من العلماء من يأمر بالمباحثة والمراجعة ويحض

عليها:

قال العلامة قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق (ت : ٨٩٦هـ):

لقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن فتوح، قدس الله تعالى روحه، يُفسح لصاحب البحث مجالاً رحباً، ويوسع المراجع له قبولاً ورحباً، بل يطالب بذلك ويقتضيه، ويختار طريق التعليم به ويرتضيه، توقيفاً على ما خلص

(١) الفقيه والمتفقه (٢) ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٨٨ .

له تحقيقه، ووضح له في معيار الاختبار **(1)** تدقيقه، وإلا فقد كان ما يلقيه غاية ما يتحصل، ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل) .

ثم قال: (ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل إذا كان لها وجه، وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء، ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن مع ملازمة التوقير الدائم والإجلال الملائم، فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وكان قد أخذ عنهم، وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة، وإنما أخذوا العلم عنهم، وخالف مالك كثيراً من أشياخه، وخالف الشافعي وابن القاسم

وأشهب مالكاً في كثير من المسائل، وكان مالك أكبر أساتيذ الشافعي، وقال: لا أحد أمن على من مالك، وكاد كل من أخذ [عنه] (٢) العلم أن يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل، ولم يزل ذلك دأب التلاميذ مع الأساتيذ إلى زماننا هذا .

(١) في الأصل: الاختيار ..

(٢) زيادة متي .

وقال: وشاهدنا ذلك في أشياخنا مع أشياخهم، رحمهم الله تعالى !

قال: ولا ينبغي للشيخ أن يتبرم من هذه المخالفة إذا كانت على الوجه الذي وصفناه، والله تعالى أعلم) (1) .

وللسيوطي (ت: ٩١١ هـ) كلام جميل دال على سمو نفسه وأدبه مع شيوخه قاله في كتابه (صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، ونصه:

... نرى كثيراً من أهل المنطق إذا تكلم في مسألة فقهية وأراد تخريجها على قواعد علمه أخطأ ولم يصب ما قالته الفقهاء ولا جرى على قواعدهم .

وقد علم الناس ما كان يقع بين شيخنا [الكافيجي (ت: ٨٧٩ هـ)] وبين فقهاء الحنفية من كثرة التنازع والاختلاف في الفتاوى الفقهية، ونسبتهم إياه (٢) إلى أنها غير جارية على قوانين

(1) نفح الطيب (٣/ ٤٣٧) .

(٢) كذا والوجه إياها .

الفقه، وما ذاك إلا لكونه كان يخرجها على قواعد الاستدلال المنطقي، وللشريعة قواعد أخرى لا يخرج الفقه إلا عليها، فمن تركها وخرج على

غيرها لم يدرك غرض الفقه ، والشيخ - رحمه الله - أستاذي، ونعله تاج رأسي، ولكن هذا هو الحق الذي لا بد منه، وقد أراد مني مرات أن أوافقه في فتاوى تتعلق بالأوقاف، ولم أوافقه على شيء منها) **(1)** .

وللعلامة طاشكبري زاده كلام جيد إذ ذكر في آداب الطالب أن لا يتبع زلة المعلم وهفوته، ويحمل ما سمع منه من الهفوات على أحسن المحامل والتأويلات) **(٢)**.

(1) صون المنطق والكلام ص ١٦ .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة **(١/٢٦)** .

ومن الأدب ترك الكلام بحضرته:

روى الحافظ الذهبي عن الإمام عبد الله بن المبارك أنه سئل بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: « إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا » **(1)** ...

ونقل عن إسماعيل الخطبي قال:

بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد، فقال أصحاب الحديث الحماد سل أبا عبد الرحمن أن يحدثنا . فقال : يا أبا عبد الرحمن، تحدثهم فإنهم قد سألوني ؟ قال: سبحان الله يا

أبا إسماعيل أحدث وأنت حاضر ؟ فقال :
أقسمت عليك لتفعلن فقال: خذوا، حدثنا أبو
إسماعيل حماد بن زيد، فما حدث بحرف إلا عن
حماد) (٢) .

وقال السيوطي : (قال ثعلب في أماليه: حضرت
مجلس ابن حبيب فلم يمل، فقلت: ويحك ! أمل،
مالك ؟ فلم يفعل حتى

(1) سير أعلام النبلاء (٤٢٠/٨) .

(٢) المصدر السابق (٣٨٢/٨-٣٨٣) .

قمت ... قلت [القائل السيوطي: في هذا توقير
من هو أَجَلُّ منه فلا يملي بحضرته (١).

وقد بالغ أحد الأئمة في ذلك: يقول الشيخ عبد
الوهاب الشعراني:

وكان الإمام ابن خزيمة رضي الله عنه يضرب به
المثل في الأدب لا سيما مع شيخه البوشنجي]
أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت: ٢٩٠ هـ)]
حتى إنه سئل عن مسألة وهو في جنازته فقال:
لا أفتي حتى أواري أستاذي التراب رضي الله
عنه» (٢) .

ومن لم يلتزم بهذا عرض نفسه لما لا يحمد:

قال الشيخ ابن بطة المحدث الفقيه الحنبلي:

كنت عند الإمام أبي عمر الزاهد - الحافظ العلامة اللغوي محمد بن عبد الواحد

(1) المزهر (٢/ ٣١٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٨٨/٢)، وأصل الخبر في طبقات الشافعية الكبرى، في ترجمة البوشنجي (٢) (١٩١). وهو في صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي ص ٧٣ .

البغدادي الملقب: غلام ثعلب - فسئل عن مسألة، فبادرت أنا فأجبت السائل، فالتفت إلي أبو عمر الزاهد فقال لي: تعرف الفضوليات المنتقبات ؟! يعني : أنت فضولي، فأخجلني ! (1)

(1) من أدب الإسلام ص ٦٦ .

٤- ومن الأدب معاملته كالأبوين بل أكثر :

إن شيوخك آباء، يقول الإمام النووي : (وهذا - أي ذكر الشيوخ وتسلسلهم - من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها، وتقبح به جهالتها، فإن شيوخه

في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهله الأنساب، والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرهم، وذكر مآثرهم والثناء عليهم وشكرهم) (1) .

وقال وهو يترجم الإمام أبا العباس ابن سريج: « هو أحد أجدادنا في سلسلة الفقه) (٢) .

وروى الأصفهاني أنه (قيل للاسكندر: إنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك ! فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية) (٣) .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٧-١٨)، وانظر الإمام النووي للدقر ص ٣٥، وتعليم المتعلم ص ٤٧ .

(٢) المجموع (١/٢١٢) .

(٣) محاضرات الأدباء (١/٤٥)، وقريب منه في فضيلة الإنسان بالعلوم ص ٢٩٥ .

و من هنا قال الكاتب البليغ الشاعر الصالح أبو الفتح النطنزي (ت: في حدود ٥٥٠ هـ):

أقدم أستاذي على والدي وإن تضاعف لي من والدي البر واللطف فهذا مربي النفس، والنفس جوهر وذاك مربي الجسم وَهوَ لَها صَدَف (١)

(1) الوافي بالوفيات (١٦٢/٤)، granted وورد البيتان في تطبيق حكم الطريقة العلية على الأحكام الشرعية النبوية للصيادي ص ٢٧١ من غير تعيين قائل، ونصهما:

أرى فضل أستاذي على فضل والدي وإن زاد في بشر وإن زاد في تحف فهذا مربي العقل، والعقل جوهر وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

وفي (تحفة الطالبين » لابن العطار ص ٥٩:

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله - : العلماء أرأف بأمة محمد من آبائهم وأمهاتهم ؛ لأنهم يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها، وآباؤهم وأمهاتهم يحفظونهم من الدنيا وآفاتها .

يعني الآباء العلماء، وأما الآباء الجهال فلا يحفظونهم لا في الدنيا، ولا في الآخرة . والله أعلم . .

وقال الشرقاوي : (إن أبا التعليم أشرف من أبي النسب

كما قيل:

فذاك مربي الروح والروح جوهر وهذا مربي الجسم والجسم كالصدف (1)

وقال الموفق الخوارزمي روي عن أبي حنيفة أنه قال: ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد إجلالاً له، وكان بين داري و داره سبع سكك (٢) . وروي عنه أنه قال: ما صليت صلاة منذ مات

حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً) (٣) .

وروى الخطيب البغدادي عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: (ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي:

(١) حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري (١٤/١)

(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة، الباب (١٧) (١/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٣) المصدر السابق (٢٥٧/١) .

أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض ؟) (١).

وجاء في وصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه أبي يوسف: واذكر الموت، واستغفر للأستاذ، ومن أخذت عنهم العلم، ودوام على التلاوة، وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة) (٢).

وقد نفذ أبو يوسف هذه الوصية، وجاء عنه أنه قال: " إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو الحماد مع أبوي) (٣).

وفي هذا يقول العلامة طاشكبري زاده: (ينبغي أن يُقدم الطالب] حق المعلم على حق أبويه وسائر المسلمين، حكي

(١) تاريخ بغداد (٦٢/٢) و (٦٦) .

(٢) انظر نص الوصية كاملاً في ، مناقب الإمام أبي حنيفة .

(٢/ ٣٦٥-٣٧٠)، و«الأشباه والنظائر » لابن نجيم ص ٤٣٢ .

(٣) مناقب الإمام أبي حنيفة للخوارزمي (٢٥٧/١) .

أن الشيخ الإمام شمس الأئمة الحلواني قد كان خرج من بخارى وقد زارته تلامذته إلا الشيخ الإمام أبا بكر الزرنجري، فقال له : لم لم تزرني ؟ قال: منعتني عنها خدمة الوالدة . قال : ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس ، وكان كذلك، فإنه كان يسكن في أكثر أوقاته في القرى . قال الشاعر :

آباء أجسامنا الذين مضوا ة قد أوقعونا في موقع التلف

من علم القرآن كان خير أب ذاك أب الروح لا أب النطف

وقال آخر:

رأيت أحق الحق حق المعلم   وأوجبه حفظاً على كل مسلم

لقد حق أن يهدى إليه كرامة التعليم حرف واحد ألف درهم) (١)

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١/٢٥-٢٦) .

ومن الأدب خدمته تواضعاً له:

يقول الإمام ابن الجوزي مخاطباً المعلم والطالب: أيها المعلم تثبت على المبتدي وقدر في السرد، فالعالم رسوخ والمتعلم قلق ..

ويا أيها الطالب: تواضع في الطلب، فإن التراب لما ذل لأخمص القدم صار طهوراً للوجه، ولا تيأس مع مداومة الخير أن يقوى ضعفك، فالرمل مع الزمان يستحجر، صابر ليل البلاء، فبعين الصبر ترى فجر الأجر، ما يُدْرَكُ منصب بلا نصب، ألا ترى إلى الشوك في جوار الورد ؟ » (١).

وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني عن الإمام الجليل السيد جعفر الصادق - رحمه الله ورضي عنه - أنه كان يقول : (أربع لا ينبغي لشريف أن يأنف منها:

قيامه من مجلسه لأبيه .

- وخدمته لضيفه .

(1) اللطائف ص ٩٢ .

وقيامه على دابته ولو أن له مئة عبد .

وخدمته لمن يتعلم منه) (1) .

وقال الزرنوجي: (والقاضي الإمام فخر الدين الأرسابندي ت: ٥١٢ هـ كان رئيس الأئمة في مرو، وكان السلطان يحترمه غاية الاحترام، وكان يقول: إنما وجدت هذا المنصب بخدمة الأستاذ، فإني كنت أخدم أستاذي القاضي الإمام أبا زيد الدبوسي ت: ٤٣٥ هـ وكنت أخدمه [في] (٢) طعامه ولا أكل منه شيئاً (٣) .

ثم قال:

وحكي أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب، فرآه يوماً يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجليه، فعاتب الخليفة الأصمعي في ذلك

(1) الطبقات الكبرى (١) (٣٢)، والقول في جامع بيان العلم وفضله

(١/٥٤٢) بلفظ : « كان يقال) بدون تعيين القائل ..

(٢) زيادة مني .

(٣) تعليم المتعلم: فصل في تعظيم العلم وأهله ص

٤٨-٤٩ .

فقال: إنما بعثته إليك لتعلمه العلم وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلك ؟) (1) .

قلت: وهذا درس عظيم دال على قيمة العلم والعلماء عند الخلفاء، وعلى سنن الآباء جرى الأبناء، كما جاء عن الخليفة المأمون ابن الرشيد .

وقد نقل عنه أبو البركات الأنباري في ترجمة أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء الإمام اللغوي الثقة خبراً جميلاً فقال:

كان المأمون قد وكل الفراء ليلقن ابنيه النحو، فلما كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء ليقدماها له فتنازعا أيهما يقدمها له ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، وكان للمأمون وكيل على كل شيء خاص، فرفع ذلك إليه في الخبر فوجه إلى الفراء واستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس ؟ فقال : لا أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين . فقال : بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله

(١) المصدر السابق ص ٥٠-٥١ .

وليا عهد أمير المؤمنين حتى يرضي كل واحد منهما أن يقدم له فردة . فقال : يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، وأكثر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها، وقد روي عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما ! فقال له: اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل .

فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً، وألزمتك ذنباً، وما وضع ما فعلا من شرفهما، بل رفع من قدرهما، ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل - وإن كان كبيراً - عن ثلاث تواضعه السلطانه، ولوالديه، والمعلمه .

ثم قال: قد عوضتهما مما فعلا عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما » (1) .

(١) نزهة الألباء ص ٨٢-٨٣ .

وروى الإمام النووي عن الشيخ الفقيه الإمام

الصالح محمد

البرسي قال:

تصدر] الحافظ عبد الغني [المقدسي] ونحن جماعة فيهم مفتون (١) ، فلما وضع رجله على درجة الكرسي قلت في نفسي : بأي شيء فضلك الله علينا ؟ فالتفت إلي وقال: يا مدير مَنْ خَدَم خُدِمٍ، مَنْ خَدَم خُدِمٍ، مَنْ خَدَم خُدم . فقلت: آمنت بالله) (٢).

وكان الإمام النووي في هذا الباب قمة شامخة: يقول الإمام السيوطي عنه: " أخذ الفقه عن شيخه إسحاق المغربي، وكان يتأدب معه كثيراً ويملأ له الإبريق ويحمله معه إلى الطهارة) (٣).

ومن الصور الرائعة في حياة هذا الإمام ما يذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني إذ يقول : (وقد بلغنا عن الإمام النووي

(١) في الأصل: يفتون !

(٢) بستان العارفين ص ١٩١ ، وهو من الملحق في آخره .

(٣) المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ص ٣٩، وانظر لزاماً تحفة الطالبين لابن العطار ص ٥٦، وترجمة النووي للسخاوي ص ٣٥، وفيها أنه فعل هذا مع شيخه الإمام عمر بن أسعد الربعي .

أنه دعاه يوماً شيخه الكمال الإربلي ليأكل معه، فقال: يا سيدي اعفني من ذلك فإن لي عذراً شرعياً، فتركه، فسأله بعض إخوانه ما ذلك العذر ؟ فقال: أخاف أن تسبق عين شيخي إلى لقمة فأكلها وأنا لا أشعر .

وكان رضي الله عنه إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه في الطريق بما تيسر ويقول: اللهم استر عني عيب معلمي حتى لا تقع عيني له على نقيصة ولا يبلغني ذلك عنه عن أحد **(1).**

ولهذه الآداب الرفيعة الجمة التي تحلى بها مع شيوخه أكرمه الله تعالى بعقوبة من يسيء الأدب معه ويؤذيه:

قال السيوطي: (ورأيت في إنباء الغمر الشيخ الإسلام ابن حجر - رحمه الله - في ترجمة الجمال الريمي شارح التنبيه، أنه كان كثير الحط على الشيخ محيي الدين [النووي] ، فلما مات جاءت

(1) لواقح الأنوار القدسية ص ٢٩ .

هرة وهو على المغتسل فانتزعت لسانه، قال: فكان ذلك عبرة للناس) **(1)** .

وأكرمه الله كذلك بأدب أئمة الدنيا معه، ومنهم الإمام تقي الدين السبكي:

قال ولده الشيخ تاج الدين السبكي حاكياً عنه: « ما زال - رحمه الله - كثير الأدب معه [مع النووي والمحبة فيه والاعتقاد، قال لي مرات ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي، والتيسير الذي يسر له . ورافق مرة في مسيره وهو راكب على بغلة شيخاً ماشياً، فتحادثا، فوقع في كلام ذلك الشيخ أنه رأى النووي، ففي الحال نزل عن بغلته وقبل يد ذلك الشيخ العامي الجلف وسأله الدعاء، ثم دعاه إلى أن يردفه خلفه وقال: لا أركب وعين رأت وجه النووي تمشي بين يدي أبداً .

(١) المنهاج السوي ص ٨١، وإنباء الغمر (٤٨/٣)، والنص فيه هكذا: قال لي الجمال المصري: كان الريمي كثير الازدراء بالنووي، فرأيت لسانه في مرض موته وقد اندلع واسود، فجاءت هرة فخطفته، فكان ذلك آية للناظرين . رب سلم » .

٦٣

ولقد سكن دار الحديث الأشرفية وكان يخرج في الليل يتهجد تجاه الأثر الشريف، ويمرغ خده على الأرض فوق البساط الذي يقال إنه من زمن الواقف، ويقال إن النووي كان يُدرس عليه، وأنشدني لنفسه في ذلك:

وفي دار الحديث لطيف معنى على بسط لها أصبو واوي عسى أني أمس بحر وجهي مكاناً منه قدم النواوي

فهذه حاله معه » **(1)** .

قال السخاوي وكلام التقي في تكملة شرح المهذب يشهد لذلك (٢).

(١) ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح، «مخطوط» (الورقة (١١) .

(٢) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة شيخ مشايخ الإسلام النووي للسخاوي (الورقة ٥٥ ب).

ومنهم الإمام ابن حجر العسقلاني: قال تلميذه السخاوي في ترجمته: (وأما كثرة أدبه مع العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين فمشهور، بحيث كان إذا تعقب النووي - رحمه الله - بشيء يقول: وعجبت للشيخ مع سعة علمه كيف قال كذا، أو ما أشبه ذلك من العبارات) (١).

أعود إلى جانب خدمة الشيخ لأقول: إنَّ هذا الأدب العالي سمة كل الكبار الموفقين من رجالات الإسلام.

ومنهم الإمام السيد أحمد الرفاعي: وقد قال محدث واسط الشيخ تقي الدين الواسطي عنه:

كان سيدي أحمد - قدس الله روحه - في بدايته وهو شاب يقرأ القرآن على الشيخ العارف سيدي علي ابن القاري الواسطي رضي الله عنه، فصنع شخص طعاماً ودعا إليه ابن القاري وأصحابه من المشايخ والقراء وغيرهم، فلما حضروا قدم الطعام فأكلوا ... وسيدي أحمد جالس عند نعال القوم، ونعل الشيخ ابن القاري معه ...) (٢) ...

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١٠٤٣/٣) .

(٢) ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين (مخطوط) .

ومن هؤلاء الحافظ الهيثمي : قال الحافظ السخاوي في ترجمته: « وكان عجباً في الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة والأوراد وخدمة الشيخ [أي الحافظ الزين العراقي] ... وحدث بالكثير رفيقاً للزين، بل قل أن حدث الزين بشيء إلا وهو معه، وكذلك قل أن حدث هو بمفرده، لكنهم بعد وفاة الشيخ أكثروا عنه، ومع ذلك فلم يغير حاله، ولا تصدر ولا تمشيخ، وكان - مع كونه شريكاً للشيخ - يكتب عنه الأمالي، بحيث كتب عنه جميعها، وربما استملى عليه، ويحدث بذلك عن الشيخ لا عن نفسه إلا لمن يضايقه »، ثم نقل السخاوي عن الحافظ ابن حجر أنه قال في معجمه) عنه: (وقد عاشرتها مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل، ورأيت من خدمته لشيخنا وتأدبه معه من غير تكلف لذلك ما لم أره لغيره ولا أظن أحداً يقوى عليه .

وقال البرهان الحلبي : إنه كان من محاسن القاهرة، ومن أهل الخير، غالب نهاره في اشتغال وكتابة، مع ملازمة خدمة الشيخ

في أمر وضوئه وثيابه، ولا يخاطبه إلا بسيدي حتى كان في أمر خدمته كالعبد) **!** **(١)**

وقال الإمام الشافعي**:** **(** لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس، وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح) **(٢)**

.

ومن الشعر الرائق الصادق قول الأديب الصالح أبي عامر

القَوْمَسِي **(**ت**:** ٤٤٩هـ **):**

العلم يأتي كل ذي خفض ويأبى كل آبي كالماء ينزل في الوهاد وليس يصعد في الروابي **(٣)**

(1) الضوء اللامع **(**٢٠١٥-٢٠٢**)** **.**

(٢**)** من المجموع للنووي **(**٦٥/١**)**، والآداب الشرعية لابن مفلح**(**٢٤/٢**)**، ونص الجملة الأخيرة عنده**:** **(** وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح » **.**

(٣**)** الوافي بالوفيات **(**٢٤٥/١٢**)** **.**

وهو ينظم في هذا قول عبد الله بن المعتز المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء **(**١**).**

ومن الكلمات الجميلة قول الإمام محمد بن عبد الباقي الأنصاري البغدادي الحنبلي (ت: ٥٣٥ هـ) : (من خدم المحابر خدمته المنابر) (٢).

وقد ذكر الراغب الأصفهاني في كلامه على صفات المتعلم:

أن لا يستنكف من جفوة تناله من معلمه، وخدمة يبذلها ..

فقد قيل: إذا دبرت لصلاحك فتشكل بشكل المريض للطبيب فمن جرعك المر لتصح خير ممن يطعمك الحلو لتسقم) (٣).

وعن خدمة الشيخ والصبر على ما قد يكون منه يقول العلامة المفسر الألوسي في كلامه على شيخه العلامة علي علاء الدين الموصلي، وكان يعاني من ضيق يده حتى ضاقت أخلاقه:

(1) الآداب الشرعية (٢/٢٥) .

(٢) المنتظم (١٨/١٤)، والذيل على طبقات الحنابلة (١/ ١٩٤) .

(٣) فضيلة الإنسان بالعلوم ص ٢٩٥ بتصرف يسير .

ولم يتخرج عليه إلا جمع هم أقل من إنصاف الزمان، بل المتخرج - إذا تتبعت - واحد أو اثنان، وذلك لقلة تحمل الطلبة كثرة دله، وعدم وقوفهم على وافر فضله، ولا ينقص العالم قلة طلبته، كما لا ينقص النبي عدم أمته، وأنا - والله تعالى الحمد -صبرت على مره، وصيرت شغلي السعي في صفاء سره، وتأدبت معه غاية الأدب، وانتهى أداء رسم خدمتي إياه إلى حد العجب، وإني لأرجو أن أنال ببركة ذلك مزيد الآلاء، فَبِرْكَةُ بَرَكة خدمة الشيخ بحر لا تنزحه الدلاء) **(1)** .

(١) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب ص ١١ .

ف- ومن الأدب معه: هيبته واحترامه وتوقيره:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : « ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ، ولا أَجَلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه ... » **(1)** .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخره سنتين من هيبته، ولقد كنت ألقاه كل يوم .

وقال عبد الله بن عباس: مكثت سنة وأنا أريد أن

أسأل عمر ابن الخطاب عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة (٢).

وعن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي قال: ما كان إنسان

(١) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله .... برقم (١٩٢) .

(٢) روى القولين الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١٩٦/٢)، وأصل قول ابن عباس في صحيح البخاري .

يجترىء على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير (1).

وعن إسحاق الشهيدي قال:

كنت أرى يحيى القطان (ت: ١٩٨ هـ) يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ)، والشاذكوني (ت: ٢٣٤ هـ)، وعمرو بن علي الفلاس (ت: ٢٤٩هـ) وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) ويحيى ابن معين (ت: ٢٣٣ هـ) وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لواحد منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبة له وإعظاماً (٢).

وروى الإمام النووي عن الإمام الشافعي أنه قال: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك - رحمه الله -

صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها .

(1) الجامع للخطيب (١/ ٢٧٥) .

(٢) الجامع (١/٢٧٧)، ومناقب أحمد لابن الجوزي ص ٥٧، وهو يروي عن الخطيب .

وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له ! » (1) .

وللإمام القسطلاني في هذا السياق كلام جميل إذ يقول:

ينبغي للطالب أن يتأدب مع شيخه ويبجله ويعظمه، فبقدر إجلاله له يكون انتفاعه بعلمه، وأن يعتقد أهليته ورجحانه قال بعضهم: من لم ير خطأ شيخه خيراً من صواب نفسه لم ينتفع به، وكان بعضهم إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه مني» (٢).

وليس الأمر مقتصراً على توفيره فحسب، فقد قال العلامة طاشكبري زاده: (ومن توقيره توفير أولاده ومن يتعلق به، وللسلف في توفير المعلم أمور لا يكاد يخطر فعله ببال أحد في زماننا هذا) (٣).

(1) المجموع (١/ ٦٧) .

(٢) لطائف الإشارات (٣٣٢/١) .

(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢٦/١)، وقد توفي طاشكبري سنة (٩٦٨) هـ) .

ومن الأدب معه ألا يشعر بمساواته والاستغناء عنه:

قال الماوردي في كلامه على أدب المتعلم: « ولا يظهر له الاستكفاء منه، والاستغناء عنه، فإن في ذلك كفراً لنعمته، واستخفافاً بحقه، وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه، الجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصد من يعلمه بالإعنات له، والاعتراض عليه، ازدراء به، وتبكيتاً له، فيكون كمن تقدم به المثل السائر لأبي البطحاء:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما استد (١) ساعده رماني

وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عند من يعلمونه مستجهلين، وعند من قدموه مستر ذلين . وقال صالح بن عبد القدوس:

(١) قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء. انظر : لسان العرب (١٥٠/٧) . وفيه الخلاف في اسم قائله ...

وإن عنــــــــــاء أن تعلم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

متى يبلغ البنيـــــان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

متى ينتهي عن سيء من أتى به إذا لم يكن منه عليه تندم ؟ **(1)**

وعن الإمام النحوي الفراء قال : **(** قال لي رجل : ما اختلافك إلى الكسائي **(**ت: ١٨٩ هـ**)** وأنت مثله في النحو **!** فأعجبتني نفسي، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء، فكأني كنت طائراً يغرف بمنقاره من البحر **!)** **(**٢**)**.

(1) أدب الدنيا والدين ص ٧٧ .

(٢**)** طبقات المفسرين للداوودي **(**٤٠٦/١**)** .

٧٤

ومن الأدب معه تحمل ما قد يقع منه:

قال الإمام ابن مفلح : **(** ينبغي أن يحتمل الطالب ما يكون من الشيخ، أو من بقية الطلبة، لئلا يفوته العلم، فتفوته الدنيا والآخرة مع حصول العدو طلبه، وشماتة الأعداء من الأربعة المأمور بالاستعاذة منهن في الصحيحين، في قوله عليه السلام: تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك

الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

وقد قيل:

المحبرة تجالسني نهاري أحب إلي من أنس الصديق

ورزمة كاغد في البيت عندي أعز إلى من عدل الدقيق

ولطمة عالم في الخد مني ألذ علي من شرب الرحيق

وقال الشافعي: غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة، فقال آخر : لو غضب على مثلك لم أعد إليه . فقال له الأعمش : إذن هو أحمق مثلك يترك ما ينفعه لسوء خلقي . ذكره البيهقي (1) .

ومر معنا قول الراغب الأصفهاني: « أن لا يستنكف من جفوة تناله من معلمه . ...

(1) الآداب الشرعية (٢/٢٥-٢٦) .

- ويرى بعض العلماء أن من صور الأدب عدم الجلوس في مكان الشيخ:

قال العلامة طاشكبري زاده: (من توقير المعلم أن لا تمشي أمامه، ولا تجلس مكانه) (١) .

وجاء في ترجمة الإمام القاضي فخر الدين محمد بن علي المصري الشافعي (٦٩١-٧٥١ هـ) أنه في سنة (٧١٥ هـ) ولي تدريس (العادلية » الصغيرة، وفيها أذن له بالإفتاء، وكان له من العمر ثلاث وعشرون سنة، ولما توفي شيخه الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين جلس بعده بالجامع الأموي في حلقة الإشغال في المذهب، وتأدب مع شيخه فأخلى مكانه وجلس دونه) (٢) .

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢٦/١).

(٢) الوافي بالوفيات (٢٢٧/٤) .

١٠ - ومن الأدب الرفق بمن يأخذ عنه:

قال السيوطي في معرفة آداب اللغوي:

وليرفق بمن يأخذ عنه، ولا يكثر عليه، ولا يطول بحيث يضجر. وفي أمالي ثعلب أنه قال حين آذوه بكثرة المسائل قال أبو عمرو : لو أمكنت الناس من نفسي ما تركوا لي طوبة، أي أجرة) (1) .

وقد روى ابن عبد البر عن ابن جريج قوله : « لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به) (٢) .

(1) المزهر (٢/٣١٢)، وانظر خبراً نقله عن ثعلب (٢/٣٢٤).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/٤٢٣) .

١١ - ومن الأدب معه إخلاص القصد في السؤال:

قال الراغب الأصفهاني وهو يتحدث عن صفات المتعلم أمام شيخه : (أن لا يسأله تعنتاً، فقد قيل : إذا جالست عالماً فاسأله تفقهاً لا تعنتاً) (1) .

ومن المفيد تأمل هذه الحكاية

قال ابن خلكان في ترجمة الفقيه العالم الزاهد الجليل الرباني

يوسف بن أيوب الهمذاني (ت: ٥٣٥ هـ):

قدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولاً عظيماً من الناس، قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح: حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النظامية، وكان قد اجتمع العالم ، فقام فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسألة، فقال له الإمام يوسف: اجلس فإني أجد

(١) فضيلة الإنسان بالعلوم ص ٢٩٥ .

من كلامك رائحة الكفر، ولعلك تموت على غير دين الإسلام قال أبو الفضل : فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة، فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له : يقع لي أن أترك دين الإسلام وأدخل في دينكم، فقبله النصراني، وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم، وتنصر ومات على النصرانية .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في (تاريخ بغداد) في ترجمة يوسف الهمذاني المذكور: سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرئ يقول: كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم مجوداً في تلاوته، حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة مريضاً، وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه، قال فسألته هل القرآن باق على حفظك ؟ فقال: ما أذكر منه إلا آية واحدة رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ) [الحجر: ٢] والباقي أنسيته .

80

نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ونسأله الثبات على دين الإسلام، آمين آمين آمين) (1) .

(١) وفيات الأعيان (٧/٧٨-٧٩).

الخاتمة

وبعد: فقد قال الشيخ ابن تيمية:

يجب على المسلمين - بعد موالاة الله تعالى ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة - قبل مبعث نبينا محمد ﷺ - فعلم اؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم (1) قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب و به نطقوا » (٢).

(1) من هنا إلى الأخير من كلام الحارث المحاسبي في كتابه (القصد والرجوع إلى الله ، المطبوع مع كتب له أخرى تحت عنوان الوصايا ، ص: ٢٩٠ وتتمته : (وبهم علم الكتاب وبه علموا، ليس يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرتجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون ، وكلام المحاسبي عن الأولياء ..

(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ١١-١٢ .

وقال الشيخ الشعراني : « أُخذ علينا العهد العام

من رسول الله ﷺ أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم، ولو أعطيناهم جميع ما نملك، أو خدمناهم العمر كله، وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريقة الصوفية الآن، حتى لا نكاد نرى أحداً منهم يقوم بواجب حق معلمه، وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم، وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء ....

ثم قال: (ثم من أقل آفات سوء أدبك يا أخي مع الشيخ أنك تحرم فوائده، فإما يكتمها عنك بغضاً فيك، وإما أن لسانه ينعقد عن إيضاح المعاني لك، فلا تتحصل من كلامه على شيء تعتمد عليه عقوبة لك، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له الموضع صدقه وأدبه معه، فعلم أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وغض البصر كما يخاطب .)1(... الملوك

ومن الأمثلة على قول الشعراني هذا ما جاء في ترجمة المحدث

الثقة الأديب محمد بن كناسة (ت: ٢٠٧ هـ):

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أتيت محمد بن كناسة لأكتب عنه، فكثر عليه أصحاب الحديث فتضجر بهم وتجهمهم، فلما انصرفوا

عنه دنوت منه، فهش إلي واستبشر بي وبسط وجهه، فقلت له : لقد تعجبت من تفاوت حالتيك ! فقال لي : أضجرني هؤلاء بسوء أدبهم، فلما جئتني أنت انبسطت إليك، وأنشدتك، وقد حضرني في هذا المعنى بيتان، وهما:

في انقبـــــــاض وحشمة فإذا رأيت أهل الوفـــاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتـــــها وقلت ما شئت غير محتشم

فقال له إسحاق : وددت أني قلتهما بما أملك، فقال ابن كناسة: ما ظهر عليهما أحد فخذهما وانحلهما نفسك، وقد وفر الله عليك مالك، والله ما قلتهما إلا الساعة . فقال: أستحي

من نفسي أن أدعي ما لم أقل . أو قال: فكيف لي بعلم نفسي أنهما ليسالي ؟) (1) .

وفي قول إسحاق الموصلي: « أستحي من نفسي أن أدعي ما لم أقل دلالة على فضل نفسه وسموها، وتذكير لمن هانت عليه نفسه فادعى ما ليس له من علم أو أدب !

وقال العلامة طاشكبري زاده (ت: ٩٦٨ هـ): (من جملة أسباب انقراض العلم في زماننا: عدم تحرزهم عن مراعاة حق العلم، ولقد صار هذا سنة سيئة في زماننا هذا . أمات الله تعالى هذه السنة من بين أظهرنا وقاتل الله من وضعها

وأحياها . قيل: من تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع به إلا قليلاً (٢).

واعلم أن سوء أدب الطلبة كان سبباً لاعتزال العلامة السيوطي، وقد ألف في ذلك مقامته الحزينة (التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس) وقال فيها:

(١) الوافي بالوفيات (٤/ ٣٧٧-٣٧٨) .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١/ ٢٥) .

أما التدريس فأخذ عني ثلاث طبقات:

طبقة أولى: كانت خيراً صرفاً، ديناً وفضلاً وصدقاً وعزماً، فحياها الله وبياها، وأسبغ عليها رحمته مماتها ومحياها، وأمطر علينا سحائب فضله وإياها .

طبقة ثانية: تعرف وتنكر، وتذم وتشكر، وهذه يحمل أمرها، ويروج سعرها، ويخفف إصرها .

ثم جاءت طبقة ثالثة: الله أكبر ما أكثر شرها، وأكبر حرها، وأشد إصرها، وأنكر أمرها، وأعظم إمرها، وأقوى فجورها، وأو فى كذبها وبهتانها وزورها، عظيمة السفه والجهل، ليست للعلم ولا للحلم بأهل .... ! (١) ..

ولهذا الألم الذي يعتصر قلبه علق شاكياً حين

ترجم الإمام الوجيه المبارك ابن الدهان النحوي الضرير الذي كان حنبلياً ثم تحول حنفياً، ثم لما درس النحو بالنظامية صار شافعياً، وقال فيه تلميذه أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي أبياتاً ساخرة،

(1) التنفيس، ضمن شرح المقامات ، **(**٢/ ١٠٠١-١٠٠٢**).**

علق السيوطي قائلاً**:** هكذا تكون التلامذة، يتخرجون بأشياخهم ثم يهجونهم **!** لا قوة إلا بالله) **(1) .**

ورحم الله الإمام الفقيه القدوة الأستاذ أبا سهل محمد بن سليمان الصعلوكي الشافعي **(**ت**:** ٣٦٩ هـ**)** القائل**:**

عقوق الوالدين يمحوها الاستغفار، وعقوق الأستاذين لا يمحوها شيء) **(**٢**).**

(١**)** بغية الوعاة **(**٢/ ٢٧٤**)**، ونقل الترجمة بنصها تلميذه الداوودي في طبقات المفسرين **(**٢/٣٠١-٣٠٢**) .** والأبيات هي**:** الا مبلغ عني الوجيه رسالة

وإن كان لا تجدي إليه الرسائل تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعوزتك الماكل وما اخترت رأي الشافعي ديانة

ولكن لأن تهوى الذي منه حاصل وعما قليل أنت لا شك

صائر إلى مالك ، فافطن لما أنا قائل !

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٣) (١٧١)، وطبقات المفسرين للداوودي .(٢/ ١٥٥)

ومن هنا - والله أعلم - كان الشيخ سراج الدين أبو بكر ابن إسماعيل المزجاجي (ت: ١١٦٧ هـ) لا يسامح الطلبة (في شيء من الآداب، ومن أخل زجره غاية الزجر، وكان يأمر بقراءة طلبة الطلبة) (١) و » آداب العالم والمتعلم ، ويطالبهم بأدائها، فكانت طلبته أحسن الطلبة أدباً وجداً واجتهاداً وعملاً) (٢).

هذا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم، ومعلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .(٣)

(١) طلبة الطلبة في طريق العلم لمن طلبه للكاشغري (ت: ٧٠٥ هـ).

انظر: جامع الشروح والحواشي ٢/ ١٣٤٥

(٢) نزهة رياض الإجازة المستطابة ص ١٦٩.

(٣) فائدة وقفت بعد فراغي من هذه الرسالة على (الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد للعلامة بدر الدين محمد بن محمد الغزي (ت: ٩٨٤)، ورأيته خصص القسم الثاني من النوع الثالث من الباب الثالث الآداب الطالب مع شيخه وقدوته، وما يجب عليه من تعظيم حرمته

ص ١٣٨-١٥٤، وهو مفيد فقف عليه.